JOURNAL AL-MUQADDIMAH: Journal of Postgraduate Studies In Islamic History and Civilization (e-issn:2289 3954)
https://ejournal.um.edu.my/index.php/MUQADDIMAH Vol.5 (1), Jun 2017
Department of Islamic History and Civilization Page: 171 -155
Academy of Islamic Studies, University of Malaya

The Dwellers of Mutasarrifate of Jerusalem (1917- 1874) Analysis Study©

سكان متصرفية بيت المقدس (1874- 1917 م): دراسة تحليلية

Marwan Mohammad Hamdan Yousef*
Mohd Roslan Mohd nor**
Meguellati Achour***

*طالب دكتوراه في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية أكاديمية الدراسات الاسلامية بجامعة ملايا، ويمكن ان يبعث أي التساؤلات حول هذه المقالة الى عنوان الإيميل Marwanaqra@Gmail.Com

** أستاذ ومحاضر بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا.

*** أستاذ ومحاضر في قسم البحث والتطوير، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا.

Abstract

This article is about the dwellers of Mutasarrifate of Jerusalem and their number and the factors that affected them. The city has witnessed many events that affected the number of population who lived and settled in the city. It also witnessed the focus of Zionism to settle Jewish in the city, for the demographic change of population and making most them Jewish. Moreover, they made use of the unlimited support from the Western countries that had been motivated by the Jewish influence that was characterized by their financial control on the economies of those Western countries. There also were many other factors that affected the number of population other than the Jewish settlement, they had a direct influence in increasing and decreasing the population number which was characterized by the spread وof diseases and natural disasters and the invasions of grasshoppers.

Keywords: Bayt al-Mandis. Mutasarrifate. Statistics. Population assets. Military conscription

الملخص

تدور هذه المقالة حول سكان متصرفية بيت المقدس واعدادهم والعوامل المؤثرة فيهم حيث شهدت المدينة أحداث كثيرة أثرت في أعداد السكان الذين سكنوا المدينة واستقروا فيها كما شهدت تركيز الحركة الصهيونية على توطين اليهود فيها من أجل التغيير الديمغرافية للسكان وجعل اليهود أغلبية واستغلت في سبيل ذلك الدعم اللامحدود من الدول الغربية التي حركها النفوذ اليهودي الذي تمثل في السيطرة المادية لهم على مفاصل اقتصاد تلك الدول، كما أن هناك عوامل كثيرة أثرت في عدد السكان غير الاستيطان اليهودي وكان لها تأثير مباشر في زيادة ونقصان عدد السكان تمثلت في انتشار الامراض والكوارث الطبيعية وهجمات الجراد

© هذه المقالة كتبت بالمشاركة بين الطالب والمشرفين وهي مستله من رسالة الدكتوراه.

كلمات مفتاحية: بيت *المقدس. متصرفية. الاحصاء. أصول السكان. التجنيد الإجباري*

المقدمة

تعد هذه الفترة الزمنية التي عايشتها المدينة من أهم الفترات التي كان لها دور بارز في رسم الصورة المستقبلية التي آلت إليها أوضاع المدينة، فعدد السكان في العادة يخضع لعدد من المحددات الموضوعية التي تتحكم في طبيعة عدد السكان من حيث الزيادة والنقص وفي دراستي عن بيت المقدس لا يمكن إخضاع هذه المحددات الموضوعية لبيان عدد السكان بسبب وجود كثير من الإشكاليات التي فرضتها الأهمية الدينية لبيت المقدس عند أتباع الأديان السماوية الثلاثة بل إن هذه الأمر يتعدى في كثير من الأحيان هذا الأمر إلى أتباع الدين الواحد.

يوجد هناك إحصائيات عديدة قامت بها جهات متعددة مثل الجهات الرسمية العثمانية وبعض القنصليات الأجنبية وبعض الرحالة، وما يلاحظ في هذه الإحصائيات تباين العدد بينها بشكل كبير وزيادة عدد السكان بشكل كبير جدا بحيث يستحيل خضوع هذا الإحصاء إلى العوامل الطبيعية في عدد السكان وهذا الأمر له علاقة بالاستعمار اليهودي الذي ركز على مدينة بيت المقدس لما تمثله من قيمة تاريخية قامت عليه معظم الفرضيات الصهيونية في أحقيتهم التاريخية في فلسطين.

أصول سكان المدينة

سكنت القدس مجموعات سكانية مختلفة اختلفت الأسباب التي أدت إلى سكنها ويمكن تقسيم أصول السكان بحسب الدين لأن أبناء جميع الأديان السماوية كان لهم مبررات كثيرة تجعلهم يتشجعون على السكن في المدينة

المسلمون

منذ استرجاع المدينة على يد صلاح الدين سكنها مسلمون من أصول مختلفة حيث استقر فيها عدد كبير من الفاتحين الذين قدموا مع صلاح الدين ويظهر هذا الأمر جلياً في كثير من الأوقاف التي بقيت باسمهم إلى يومنا الحالي، واستمر هذا التدفق إلى نهاية الحكم العثماني:

- القبائل العربية: استوطنت المدينة منذ الفتح الإسلامي قبائل كثيرة ومن القبائل التي سكنت المدينة قبيلة بني عمر ويقال لهم العمريون، وهناك قبيلة بني جرم التي تفرعت منها عائلات كثيرة مثل بنو غانم والعبادلة والاحامدة وعقبة بن جزام وبنو قدامة وبنو عوف وبنو فيض وسميت حارة الغوانمة نسبة إليهم، وهناك قبيلة الجعافرة.
- السكان المحليون: سكنت المدينة عائلات من مدن فلسطينية أخرى حيث وجد أشخاص سكنوا المدينة من مختلف المدن والقرى الفلسطينية، فسكنها أناس من نابلس والخليل وعكا وغزة ويافا والرملة والمجدل وبقية القرى والبلدات الفلسطينية وخصوصا القرى المحيطة بالمدينة كالطور والعيساوية وبيت حنينا وسلوان.
- المغاربة: بدأ استقرارهم في المدينة منذ الحكم الأيوبي والمملوكي حيث هاجر إليها عدد من العلماء الذين تولوا فيها مناصب دينية كالقضاء والتدريس، وأوقف عليهم صلاح الدين الأيوبي زاوية عرفت بزاوية المغاربة وأوقف عليهم الملك الأفضل حبس حارة المغاربة وكان يمثلهم شيخ السادات المغاربة.

واستمر تدفقهم إلى المدينة وخصوصا مع احتلال فرنسا للجزائر وقمع الاحتلال الفرنسي للثورات الجزائرية التي كانت تقوم ضدهم وسكنوا في حارة المغاربة في المدينة، وكان عدد منهم يسكن زاوية سيدنا أبي مدين الغوث شعيب حيث كان للزاوية

أوقاف كثيرة مخصصة للإنفاق على طائفة المغاربة العثمانيين المسلمين وكان المغاربة من مختلف مناطق المغرب العربي حيث كان منهم التونسي والليبي والمغربي والجزائري.

كان اليهود المغاربة يشكلون نسبة كبيرة من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة حيث كان لهم مختار ومجلس اختيارية ينظم أعمالهم وصلاتهم مع الدولة.

- الأكراد: كان جيش صلاح الدين الأيوبي يحتوي على عدد كبير من القادة والجنود الأكراد الذين بقوا واستوطنوا المدينة حيث حصلوا على كثير من الأملاك وكانت لهم أوقاف وهناك أسر كردية بقيت في المدينة حتى أن هناك حارة في المدينة عرفت بحارة الأكراد، وكانت هناك عائلة الهكارية نسبة إلى الأمير سيف الدين الهكاري الذي بقي في المدينة وعاش فيها.
- التركمان(الاتراك): استوطنوا القدس حيث أن المماليك كانوا ينتسبون إلى العنصر التركي حيث أنهم عاشوا في القدس وكان المماليك يستفيدون منهم في حماية المدينة لأنهم كانوا أهل قتال وحرب، حيث ظهرت أسر تحمل لقب التركمان وكان يوجد حارة عرفت بحارة التركمان وزاد عددهم مع قدوم الدولة العثمانية حيث استوطن بعض الموظفين العثمانيين الأتراك المدينة وكانوا من مدن أدرنة وأنقرة وأزمير وسيلانيك وبخارى وسمرقند وعنتاب وبقوا فيها.
- العراقيون: استوطنوا المدينة وسكنوا فيها حيث وردت أسماء الموصلي والبغدادي.
- الحجازيون: سكنوا المدينة وكان هناك أسماء عائلات كالحجازي.
- الهنود: سكن المدينة عدد من الهنود المسلمين الذين وصل أحدهم إلى إمامة المسجد الأقصى المبارك كما وجدت زاوية صوفية عرفت بزاوية الهنود، حيث كانت مخصصة لفقراء الطريقة الرفاعية، وكان يمثلهم أمام الدولة العثمانية شيخ الهنود حيث قدموا من مدن كشمير لاهور وبيشاور وكان معظمهم تجاراً يتعاطون بيع السجاد والأدوات الفولاذية إما على أطراف الشوارع أو في دكاكين صغيرة.
- المصريون: عاشوا في المدينة واستوطنوا فيها حيث كانت بعض العائلات تحمل اسم المصري، وكان المصريون من أكبر الجاليات التي وجدت في فلسطين نظرا للعلاقات التجارية والاقتصادية التي كانت تربط بين البلدين حيث كان بعض المسافرين يبقى في المدينة ويستقر بعد الزواج فيها، وازداد عددهم مع قدوم الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا واحتلالها لفلسطين حيث استوطنت كثير من العائلات المصرية فلسطين والمدينة.
- السودانيون: سكنوا في المدينة وكانت جماعة دارفور التكروري من بلاد السودان لها وجود كبير في المدينة حيث كان لهم شيخ ومختار ومجلس اختيارية وكانت مهمتهم تقوم على حراسة بوابات المسجد الأقصى حيث كانوا يمنعون غير المسلمين من الدخول إلى المسجد وكانوا يسكنون في المدرسة الابصيرية.
- كما سكن المدينة واستوطن فيها أناس من أصول مختلفة كالكرج والفرس والأفغان الذين كان لهم زاوية عرفت بالزاوية الأفغانية والبلوش والبوشناق والارنؤوط والشركس.

النصارى

استوطنوا المدينة قبل الفتح الإسلامي للمدينة وبقوا فيها يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين وقد كان بعضهم من أصول عربية، حيث بقي عدد منهم أثناء الحملات الصليبية وتعامل صلاح الدين الأيوبي معهم تعاملاً مختلفاً عن الصليبيين الذين اتفق مع الصليبيين على عودتهم من حيث أتوا.

- لأرمن: استوطنوا المدينة وقدموا إليها على فترات مختلفة حيث هاجر بعضهم من أرمينيا بسبب الأوضاع والإضرابات التي كانت سائدة فيها، وقدم بعضهم من كردستان ومن حلب ودمشق وبيروت وتركزت الهجرة مع الصراع مع الدولة العثمانية 1894-1896م حيث استقر عدد من الأرمن المدينة، وعرفت حارة في المدينة باسم حارة الأرمن، وكان دير مار اليأس بجانب المدينة مقر رئيس لهم.
- الألمان: قدموا القدس وأقاموا مستعمرات في مناطق مختلفة من فلسطين وكان في المدينة وجود حيث استغلوا علاقة الألمان مع الدولة العثمانية للحصول على امتيازات كثيرة منها تملك مساحة كبيرة من الأرض.
- اليونانيون: حيث كانت لهم السيطرة على طائفة الروم الأرثوذكس حيث سكن الرهبان اليونان الأديرة والكنائس الموجودة في المدينة.
- الكرج: ينسبون إلى بلاد الكرج وهي إقليم القوقاز حاليا ويرجع وجودهم في المدينة إلى القرن الخامس الميلادي.
- الأقباط: كانوا من مصر وكانت لهم أوقاف في المدينة وكان عددهم قليلاً لأنهم كانوا يتنقلون بين المدينة ومصر.
- الأحباش: قدموا المدينة خلال القرن الرابع الميلادي واستوطنوا فيها بعد أن تنصروا ولهم دير يسمى بدير الحبش وقامت ملكة الحبشة بدعمهم من أجل الاستمرار في السكن في المدينة.

اليهود

كان اليهود خلال الاحتلال الصليبي للمدينة قليلي العدد حيث عمد الصليبيون إلى قتلهم وطردهم، واستوطن المدينة عدد من يهود المغرب الذين فروا من الأسبان واستقروا في المدينة وبقي هذا حالهم إلى القرن التاسع حيث بدا اليهود يهاجرون إلى المدينة.

بدأ يهود ألمانيا في الاستيطان في فلسطين حيث أسسوا في عام 1869م قرية قرب حيفا وأسس الحاخام يهودا القلعي عام 1871م جمعية لاستعمار الأراضي في القدس وكان يهدف إلى جمع اليهود في فلسطين وتخليصهم من حياة الشتات والنفي، وفي عام 1881م اتهم اليهود في المشاركة باغتيال قيصر روسيا واتخذت الحكومة الروسية إجراءات ضد اليهود وقيدت حركتهم فقاموا بالهجرة إلى فلسطين.

أصدرت الدولة العثمانية قرارا بمنع الهجرة إلى فلسطين في عام 1882م، وحاول اليهود ثني السلطان العثماني عن هذا القرار ولكنه رفض هجرتهم واستيطانهم في فلسطين، ولكن هذا الموقف الرسمي تحايل اليهود عليه عن طريق الإدارة المحلية التي تعاونت مع القناصل الأجانب واليهود من اجل السماح لهم بدخول فلسطين مقابل الحصول على رشاوي.

الإحصاء العثماني

كانت الدولة العثمانية تعتمد في إحصائها للسكان على إحصاء عدد الخانات "البيوت" وهذا الأمر يرجع إلى الضرائب وفرضها على السكان وبسبب هذا الأمر هناك شكوك تثار حول صحة هذه الإحصائيات بسبب تهرب السكان من إحصائهم بسبب الضرائب التي كانت تفرض عليهم.

إحصاء عام 1872م

يعد الإحصاء السكاني الشامل الذي قامت به الدولة العثمانية في عام 1871-1872م من أهم الإحصائيات الرسمية التي شملت كل فلسطين ويرجع إليها الباحث حيث ورد هذا الإحصاء في سالنامة ولاية سورية التي كانت المدينة تتبع إداريا لها وقد اعتمد هذا الإحصاء على الخانات وبين عدد الخانات بالنسبة للطوائف المختلفة[1].

جدول 1: الإحصاء السكاني العثماني في عام 1872م

المجموعة	العدد "الخانات"	عدد السكان
المسلمين	1025	6150
الروم	299	1794
اللاتين	179	1074
الأرمن	175	1050
الكاثوليك	18	106
البروتستانت	16	96
الأقباط	44	264
السريان	7	42
اليهود	630	3780

يبلغ عدد الخانات في هذا الإحصاء 2393 خانة ولقد تباينت الآراء حول العدد الصحيح الذي تتضمنه كل خانة ولقد ذكر الاكزاندار شولش في كتابه "تحولات جذرية" هذه التباينات بين بعض المؤرخين حيث ذكر بعضهم بأن الرقم 5 هو الرقم الصحيح لمتوسط عدد الأسر في ذاك الوقت وذكر بعضهم الرقم 4 وهذا رقم منخفض لمتوسط عدد الأسر في تلك الفترة، ورجح شولش الرقم 6 واعتبره الأقرب الذي يراعي متوسط عدد الأسر في تلك الفترة[2]، وعليه فان اعتمدنا على نظرية شولش في حساب متوسط عدد السكان بالنسبة للخانات فإن عدد سكان بيت المقدس حسب هذا الإحصاء يبلغ 14358 نسمة ويمكن تقسيم العدد إلى ثلاث مجموعات رئيسة:

جدول 2: (عدد سكان بيت المقدس في عام 1872م)

الرقم	المجموعة	العدد "خانة"	العدد" سكان"
1	المسلمين	1025	6150
2	المسحيين	738	4428
3	اليهود	630	3780

[1] سالنامة ولاية سورية، 1871م، اسطنبول، دار سعادات، ط1، 1871م، 149.

[2] شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856- 1882م، عمان، الجامعة الأردنية، ط2، 1993م، 36-37.

تبلغ نسبة المسلمين وفق هذا الإحصاء 42.83% والمسيحيين 30.84% واليهود 26.33%.

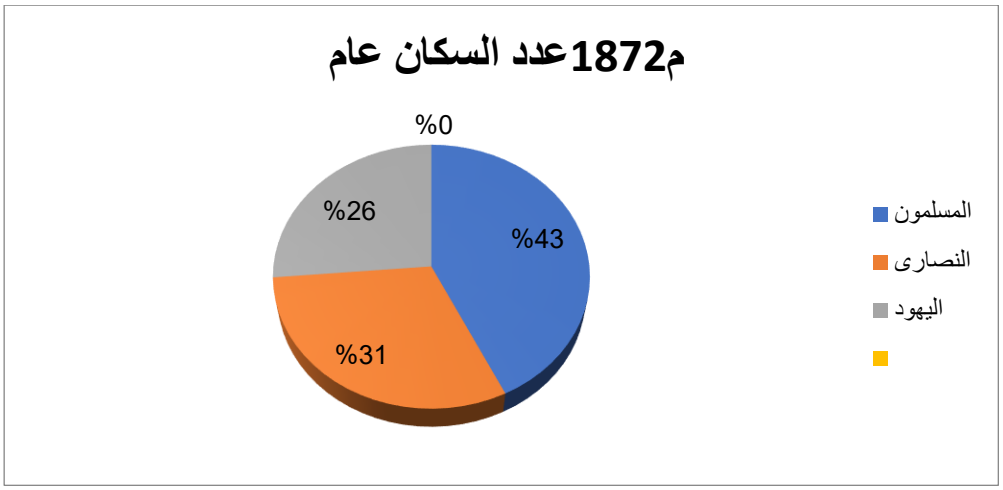

إحصاء 1849م

وفي إحصاء 1849م الذي قامت به الدولة العثمانية ودوّن في دفتر النفوس بلغ تعداد السكان وفق الجدول الاتي[3]:

جدول 3: (عدد سكان بيت المقدس في عام 1849م)

الرقم	المجوعة	العدد	النسبة
1	المسلمون	3074	52.62%
2	المسيحيون	1872	32%
3	اليهود	895	15.3%

[3] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 41.

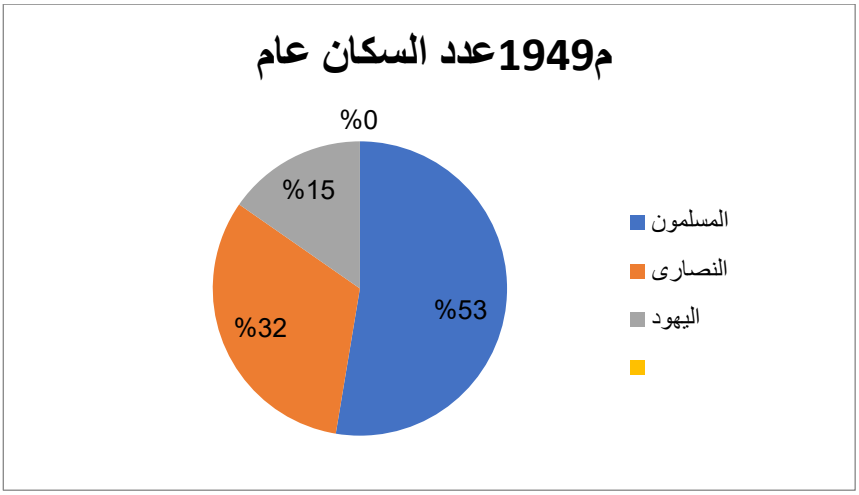

يبلغ عدد هذا الإحصاء 5841 وهو عدد قليل مقارنة بإحصاء عام 1871م فمن غير الممكن أن يكون قد تضاعف عدد السكان أكثر من 100% خلال 22 عاماً بشكل طبيعي ولكن الهجرة اليهودية والتركيز على مدينة بيت المقدس لما تمثله من قيمة تاريخية ودينية قد يفسر هذه الزيادة الكبيرة في عدد السكان.

إحصاء 1888م

وجاء عدد السكان حسب سالنامة ولاية سورية 1888م حسب الجدول الاتي[4]:

جدول :4عدد سكان بيت المقدس في عام 1888م.

المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجوع
4500	3690	3805	11995

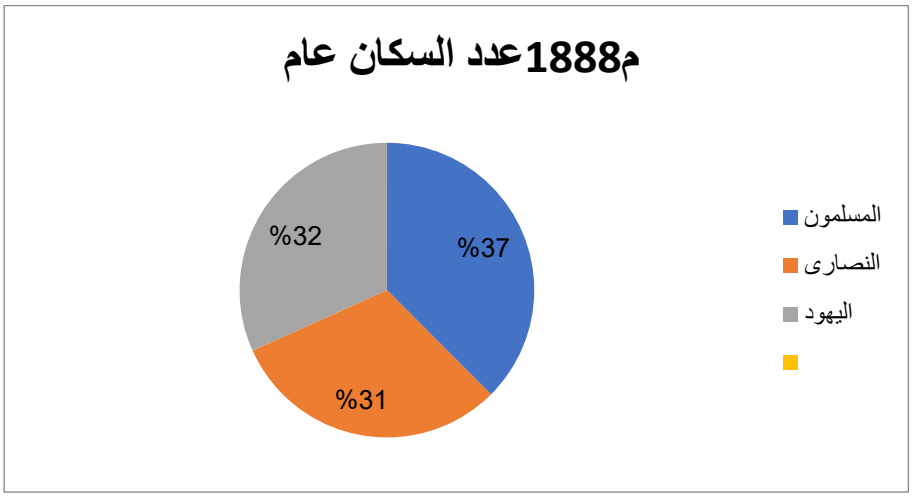

[4] القضاة، أحمد حامد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م، 79.

إحصاء 1905م

وفي إحصاء عام 1905م والذي قامت به الدولة العثمانية وسجل في دفتر النفوس كانت أعداد السكان وفق الجدول الاتي[5]:

جدول 5: (عدد سكان بيت المقدس في عام 1905م)

الرقم	المجموعة	العدد
1	المسلمون	11000
2	المسيحيون	8000
3	اليهود	13400

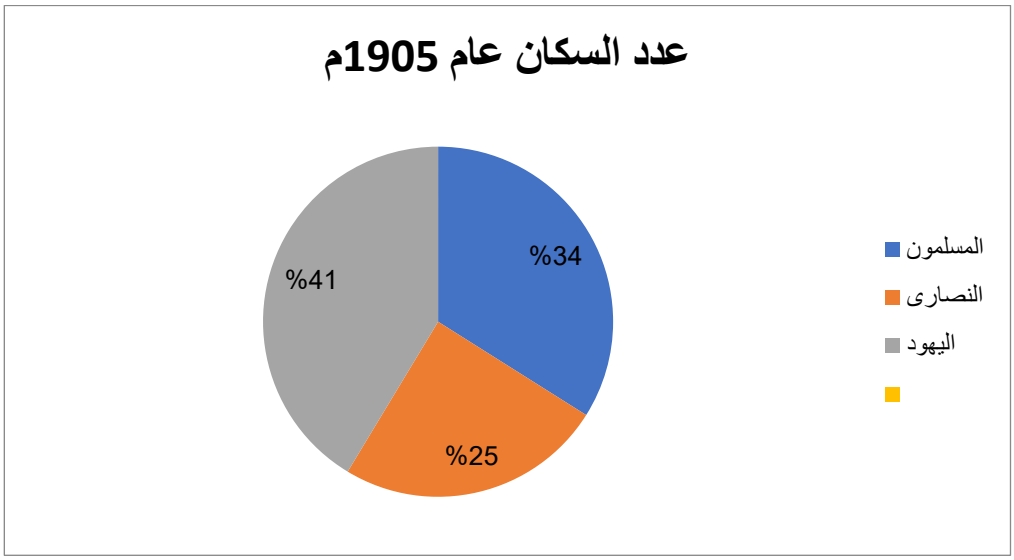

بلغ مجموع السكان وفق هذا الإحصاء 32400 شخص وهذا العدد يزيد بنسبة تفوق الزيادة الطبيعية بشكل كبير جدا وهذا الأمر يمكن تفسيره بزيادة الهجرة اليهودية إلى المدينة.

يعتبر الإحصاء العثماني الرسمي دقيقا إلى حد بعيد حيث شرعت الدولة العثمانية منذ بداية الخمسينيات من القرن التاسع عشر في تعيين موظف عرف بمأمور النفوس وكانت مهمته بالإضافة إلى تعداد السكان منح أذونات السفر وتسجيل الوفيات بحسب الأصول المتبعة بالدولة[6]، واهتمت به لأنه يترتب عليه التزامات مالية واجبة الجباية والتحصيل والسداد وهذا

[5] صالحية، محمد عيسى، مدينة القدس السكان الأرض 1858- 1948م، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 2009م، 45.

[6] الدستور العثماني، بيروت، المطبعة الادبية، 1883م، 1، 404.

الأمر جعل الجهات الرسمية حريصة كل الحرص على تسجيل العدد الحقيقي للسكان وذلك حتى لا يتهرب أحد من الضرائب والجزية التي كانت تفرض على اليهود والمسيحيين[7].

التعداد غير الرسمي

نالت مدينة بيت المقدس اهتمام الباحثين والقناصل الأجانب والرحالة نظرا لما تمثله من قيمة روحية لآهل الأديان السماوية الثلاث فكان هناك اهتمام كبير بعدد السكان ونسبة كل طائفة من حيث مجموع عدد السكان، وهذا الاهتمام كان خاضعا في كثير من الأحيان للتوجهات الاستعمارية لدولهم أو للحركة الصهيونية التي حاولت الترويج أن فلسطين خالية من السكان وانه آن الأوان أن يعودوا إلى وطنهم الموعود.

المؤرخ اليهودي بن أريه

يعد المؤرخ اليهودي بن أريه من أوائل من أهتم بالإحصاء السكاني لمدينة بيت المقدس حيث نشر إحصائية سكانية لسنوات متعددة وكان هذا الإحصاء على النحو الاتي[8]:

جدول 6: مجموع عدد السكان حسب المؤرخ بن أريه

الرقم	العام	عدد السكان
1	1860م	19000
2	1880م	30000
3	1922م	62000

(مجموع عدد السكان حسب المؤرخ بن أريه)

[7] صالحية، مدينة القدس السكان الأرض 1858- 1948م، مرجع سابق، 44.

[8] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 49.

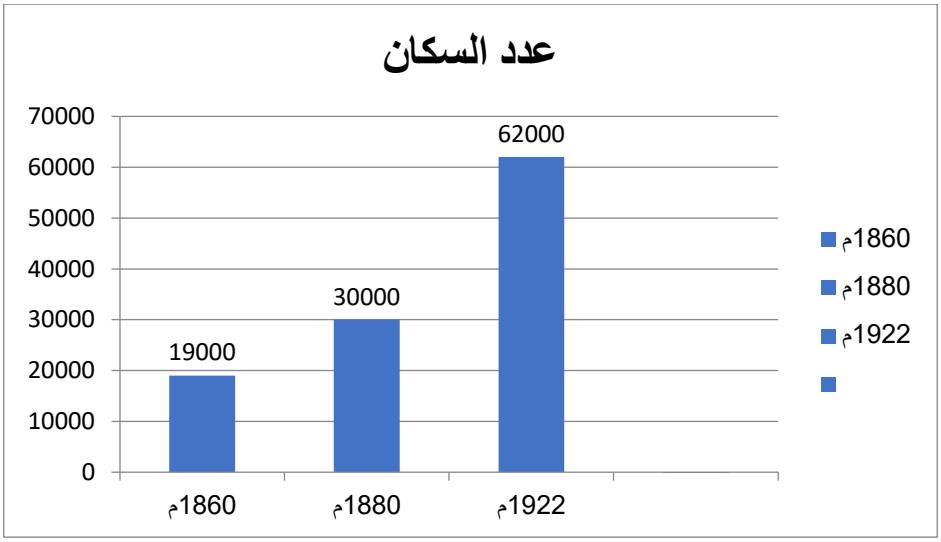

كارين أرمسترونج في كتاب مدينة واحدة

وفي إحصائية أشمل وردت في كتاب مدينة واحدة وثلاث عقائد كان عدد السكان في المدينة على النحو الاتي[9]:

جدول 7: إحصاء كارين أرمسترونج في كتاب مدينة واحدة.

العام	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
1850م	5350	3650	6000	15000
1860م	6000	4000	8000	18000
1870م	6500	4500	11000	22000
1880م	8000	6000	17000	31000
1890م	9000	8000	25000	42000
1900م	10000	10000	35000	55000
1910م	12000	13000	45000	70000
1922م	13500	14700	43400	62600

[9]أرمسترونج، كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث القاهرة، سطور، ط1، 1998م، 567.

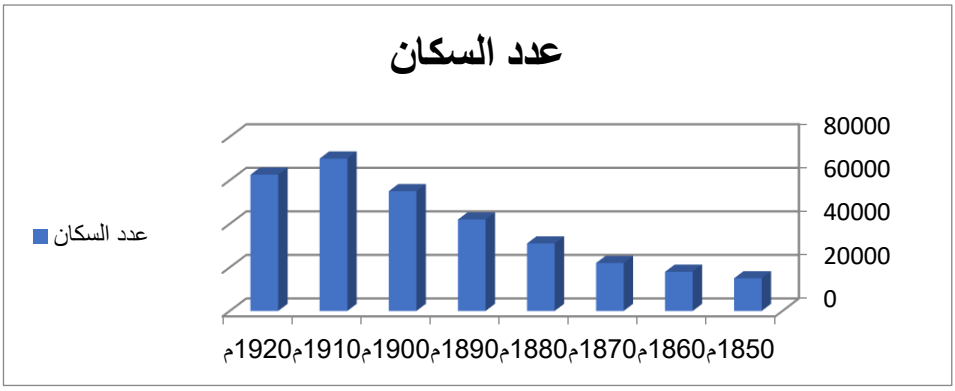

من الملاحظ أن هذه الإحصائيات قريبة من بعضها البعض ومن كتبها يعد من المؤلفين الذين يؤيدون الحركة الصهيونية ويظهر هذا التأييد واضحا جليا في زيادتهم ومبالغتهم في تقدير أعداد اليهود في هذه الإحصائيات حيث تظهر أنهم كانوا يمثلون أغلبية السكان منذ العام 1850م وهذا الأمر يتعارض مع الإحصاءات العثمانية التي بينت أنهم كانوا يشكلون النسبة الأقل من عدد السكان ولم يستطيعوا أن يحتلوا المركز الأول إلا في عام 1905م.

إحصائيات الرحالة: وأما الرحالة الذين زاروا المدينة فلقد قدروا عدد السكان من مختلف الأديان وفق الجدول الاتي[10]:

جدول 8: إحصائيات الرحالة الذين زاروا المدينة.

الرحالة	العام	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
توبر11	1846م	6100	3558	7515	17173
بوفيه12	1858م	5000	3400	7000	15400
ورين13	1867م	7500	2100	11250	20850
فوغيه14	1872م	4500	7500	14000	26000
القساطلي15	1875م	6000	12000	22000	40000
ربنسون	1883م16	4500	3500	3000	11000
نصار	1903م17	9000	10000	51000	70000
توكوتومي	1906م18			60000	100000

[10] القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مرجع سابق، 77.

[11] صالحية، مدينة القدس السكان الأرض 1858- 1948م، مرجع سابق، 47.

[12] رافق، عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين، مرجع سابق، 907.

[13] القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مرجع سابق، 77.

[14] رافق، عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين، مرجع سابق، 907.

[15] رافق، عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين، مرجع سابق، 907.

[16] كتن، هنري، القدس، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1997م، 86.

[17] مجلة الجامعة، الاسكندرية، 1903م، 161.

[18] كينجيرو، توكوتومي، الرحلة اليابانية إلى فلسطين ومصر 1906م، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014م، 56.

إحصاء 1846م قام به الرحالة الاسباني (توبر) والذي زار المدينة ثلاث مرات[19]، وأما إحصاء 1858م الذي قام به لرحالة الفرنسي (بوفيه) حيث اطّلع على عدد من الإحصاءات السكانية، وأما إحصاء 1872م فقد قام به الرحالة (فوغيه)، وأما إحصاء 1875م فقام به القس اطلي حيث رافق بعثة صندوق اكتشاف فلسطين،

إحصاء 1883م جاء على لسان (ادورد ربنسون) أستاذ الأدب التوراتي في معهد اللاهوت الاتحادي (قين يورك) الذي زار المدينة في عام 1883م، وأما إحصاء 1903م فيعود إلى الرحالة اللبناني (نجيب خوري نصار) الذي زار القدس في عام 1903م، وأما إحصاء 1906م فقد ذكره الرحالة الياباني (توكوتومي كينجير) والذي زار المدينة في عام 1906م.

يلاحظ في هذه الإحصائيات المبالغة في تقدير عدد السكان وخصوصا المسيحيين واليهود ويرجع هذا الأمر إلى عدم تخصصهم في مثل هذه الدراسات واحتسابهم الحجاج الموجودين في مواسم الحج ضمن عدد السكان حيث ذكر الرحالة الياباني توكوتومي عند ذكره عدد السكان العدد مضافا إليه الحجاج الأوربيون الذين كانوا يتكونون من المسيحيين واليهود.[20]

إحصائيات القنصليات الأجنبية

وهناك إحصائيات قامت بها القنصليات الأجنبية في المدينة حيث جاءت على النحو الاتي[21]:

جدول 9: إحصائيات القنصليات الأجنبية.

القنصلية	العام	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
الفرنسية[22]	1847م	25000	10000	10000	450000
البروسية[23]	1849م	24177	4804	895	29876
الامريكية[24]	1887م	10000	12000	25000	47000

يلاحظ أن الإحصاء الفرنسي والبروسي قريب من الإحصاء الرسمي العثماني وهذا دلالة على أن القناصل اعتمدوا على الإحصاء العثماني في عمل هذه الإحصائيات[25]،أما إحصائية القنصلية الأمريكية فيلاحظ مبالغتها في تقدير عدد اليهود والمسيحيين فهي تزيد عدد اليهود من 3690 في سجلات الدولة العثمانية عام 1888م إلى 25000 وهذا أمر مبالغ فيه ويدل على أن هناك دوافع استعمارية أدت إلى وضعها هذا الإحصاء.

[19] صالحية، مدينة القدس السكان الأرض 1858- 1948م، مرجع سابق، 47.

[20] كينجيرو الرحلة اليابانية إلى فلسطين ومصر 1906م، مرجع سابق، 56.

[21] القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مرجع سابق، 78.

[22] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 40.

[23] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 41.

[24] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 43.

[25] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 40.

وبعد الاحتلال الانجليزي للمدينة قامت سلطات الاحتلال في عام 1922م بإجراء إحصاء سكاني سعت من خلاله الى تكريس الوجود اليهودي وضغطت على المسلمين والنصارى للتطبيع مع اليهود [26]حيث جاء عدد السكان على النحو الاتي[27]:

جدول 10: عدد سكان بيت المقدس في عام 1922م.

المسلمون	المسيحيون	اليهود	اخرون	المجموع
13413	14699	33971	495	62577

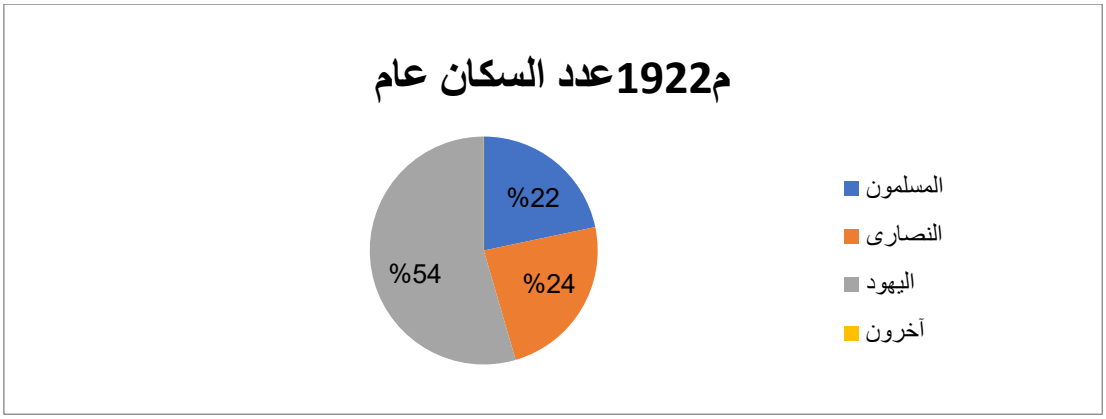

من الملاحظ أن هذه الإحصاءات حاولت زيادة عدد السكان اليهود وجعلتهم أغلبية السكان مع أن الواقع الحياتي والمعيشي الذي كان سائدا في تلك الفترة يشير إلى غير ذلك حيث أن المؤلف الصهيوني (أشير جنسبيرج) أشار إلى التوزيع السكاني وعدم صدق الادعاءات الصهيونية من أن فلسطين أرض خالية من السكان." انقضت أربعة أعوام على كتابة تلك العبارة: أرض بلا شعب، ولكن حتى من كتبها أصبح مرغما الآن ليعترف بأن فلسطين بحد ذاتها مأهولة بالسكان، بل إن كثافة السكان في قضاء القدس ضعف كثافة السكان في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تبلغ 52 نسمة في الميل المربع، ولا تتجاوز نسبة اليهود بينهم 25%، علينا أن نحضر أنفسنا لإخراج القبائل العربية منها بالسيف، كما فعل أجدادنا من قبل وإلا اضطررنا إلى التعايش مع مشكلة وجود نسبة كبيرة من الغرباء بيننا أغلبهم محمديون، وقد اعتادوا بغضنا على مر القرون"[28]ولكن مع هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى تغيرت النظرة وأصبحت الطريق معبدة لإنشاء وطن لليهود في فلسطين. [29]

إن التباين الكبير بين مختلف الإحصائيات يدل على عمق المشكلة في دراسة عدد سكان المدينة وبيانها خلال تلك الحقبة الزمنية، فمعظم الإحصائيات لها أهداف استعمارية حاولت التقليل من عدد المسلمين والمبالغة في عدد اليهود وهذا الأمر يتوافق مع العلاقة التي كانت تربطهم مع الحركة الصهيونية التي حاولت مراراً أن تروج لفكرة (أن أرضاً بلا شعب لشعب بلا ارض) وهذا الأمر اصطدم مع الواقع الذي بيّن بكل وضوح وجلاء أن فلسطين كانت عامرة بالسكان والحياة، وبعد فشلهم في

[26] Al Zaim, Ibrahim, "*Muslims' and Christians' efforts to defend the Zionist Project in Jerusalem (1917- 1948*)" , journal Al-muqaddmah,(3954_2289), 2016, p118.

[27] كتن، القدس، مرجع سابق، 87.

[28] صباغ، كارول، فلسطين تاريخ شخصي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2015م، 121.

[29] Nor, Mohd Roslan," *PERANCANGAN ZIONIS KE ARAH PEMBENTUKAN NEGARA ISRAEL*", Jurnal Usluddin, 30, 2009, p234.

تمرير هذا الأمر لجأوا إلى الادعاء أن اليهود كانوا يمثلون الأغلبية في المدينة واعتمدوا على إحصائيات تفيد بهذا الأمر وقاموا بالترويج له والتشكيك بصحة الإحصاءات الرسمية العثمانية التي كانت ترسم صورة مغايرة لما ذهبوا إليه.

عند الحديث عن عدد سكان مدينة القدس فإننا نتحدث عن البلدة القديمة التي تقع داخل السور وعن الحارات الجديدة التي تأسست خارج السور مع بداية القرن العشرين من أجل تلبية احتياجات السكان الذين لم تعد المدينة داخل السور تتسع لهم، حيث أسست حارات الشفا والمصرارة والشيخ جراح والمنشية والشيخ سعد والثوري والمنتفوري وزاوية سيدنا نبي الله داوود والمسعودية ومأمن الله والشماعة والمحكمة وكانت هذه الحارات ملاصقة لأسوار المدينة وأسست لتلبية الزيادة الطبيعية للسكان وكان يسكنها مواطنون عثمانيون وكان التعداد السكاني العثماني يدخل هذه الحارات ضمنه.

أما المستوطنات اليهودية التي كانت تقع بالقرب من المدينة وكانت تضم يهوداً من جنسيات مختلفة كانت الدولة العثمانية تتعامل معهم بنوع من اللامبالاة حيث لم تدخلهم ضمن التعداد ولم تتخذ ضدهم أية إجراءات علما أنهم كانوا يحملون جنسيات دول أخرى وكان الموجدون فيها من اليهود ولم يكن يوجد معهم مسلمون أو نصارى، ومن الأسباب التي أدت إلى وجود هذه المستوطنات في المدينة ضعف الجهاز الإداري العثماني حيث كانت الرشوة منتشرة وكانوا يدفعون للمسئولين المحليين مقابل السكوت والتغاضي عن وجودهم وعن شرائهم للأراضي وإقامة البيوت.

بناءً على هذا الأمر يمكن فهم التباين الكبير بين التعداد الرسمي للدولة العثمانية الذي كان يعترف فقط بداخل المدينة والأحياء المرتبطة به وبين الإحصاءات الأخرى التي أدخلت المستوطنات اليهودية في التعداد وكانت تهدف إلى زيادة عدد السكان اليهود وجعلهم أغلبية السكان.

لقد راعت الدولة الترتيب الإداري السائد في تلك الفترة واعتبرت سكان المدينة كياناً مستقلاً بذاته عن بقية المناطق فلذلك لم تدخل قرى القدس في تعداد المدينة مع العلم أن بعضها من ناحية جغرافية أقرب من كثير من المستوطنات كقرية سلوان والطور التي احتفظت باستقلاليتها الإدارية وتميزها السكاني وكان يوجد لها مخاتير مستقلين.

العوامل المؤثرة في نمو السكان

هناك عوامل عديدة ساهمت في تدني عدد سكان المدينة وجعلت المدينة قليلة السكان وهناك أيضا عوامل أخرى كان لها دور في زيادة عدد السكان بشكل كبير وخصوصا هجرة اليهود إليها.

التجنيد الإجباري

أدت الحروب المتكررة التي خاضتها الدولة العثمانية إلى تجنيد عدد كبير من أهالي بيت المقدس في الجبهات المشتعلة التي كانت تخوضها قواتها، حيث بلغ عدد المجندين من منطقة القدس في عام 1877م إلى 1500 مجند أرسلوا إلى استانبول[30]،وكان التجنيد الإجباري مفروضا على جميع المسلمين من سن 20-40 بموجب قانون التنظيمات العثمانية وكان عليهم أن يخدموا خمس سنوات على الأقل في الجيش النظامي وبعد ذلك يلتحقون سنتين بقوات الاحتياط وسبع سنوات بقوات الرديف وثماني سنوات بقوات المستحفضين، وكان المرء يستطيع أن يحصل على إعفاء من التجنيد مقابل مبلغ مالي يسمى البدل وحددت قيمته 150 ليرة، وكان بعض الأغنياء يدفعون لبعض الأشخاص مبالغ مالية من أجل أن يذهبوا إلى

[30] رافق، عبد الكريم، فلسطين والعثمانيين، دمشق، مطبعة المهتدين، ط1 ،1984م، 925.

التجنيد بدلاً عنهم وورد في سجلات المحكمة الشرعية أن السيد محمود أفندي بن عبد الله النمري من سكان محلة الشرف استأجر (عبدا لله بن خان الأفغاني) مقابل دفع مبلغ 30 ليرة فرنسية مقابل ذهابه إلى الجندية بدلا عنه.[31]

وفي بداية عام 1870م أعفي السكان غير المسلمين من سكان بيت المقدس من ضريبة الإعفاء العسكرية لأنهم يعيشون في مدينة مقدسة أسوة بسكان مكة والمدينة ولكن هذا القرار عدل عنه في عام 1875م[32]، وكان عدد المسلمين المجندين في سن القدرة يعتمد على الوضع السياسي والعسكري والقرعة الشرعية هي التي كانت تحدد من سيجري استدعاؤه[33]، وشكلت هذه العملية مصدرا ثمينا للدخل لأعضاء اللجان المكلفة بذلك، وجرت أول حملة تجنيد نظامية كبيرة في فلسطين في عام 1862م حيث تم تجنيد أكثر من ألف شخص كان بينهم 34 شخصاً من مدينة بيت المقدس[34]، وكان هناك استثناءات يتم من خلالها عدم تجنيد وحيد والديه والمتزوج من امرأة غريبة[35].

كانت الحرب العالمية الأولى السبب الرئيس في النقص الكبير في السكان حيث أعلنت الدولة العثمانية في عام(1333هـ/1914م) النفير العام[36] حيث تم تجنيد جميع القادرين على حمل السلاح من عمر(40-20) ومن يمتنع تم تهديده بالمحاكمة العسكرية، وكان يتم تجميعهم ثم سوقهم إلى مناطق المواجهة وأدى ذلك إلى خلو المدينة من الشباب ولم يبق فيها سوى الشيوخ والنساء والأطفال[37]، فقلت الأيدي العاملة فتعطلت الأعمال جميعها وأصيبت بشلل كامل، كما تعطلت الزراعة وتركت العائلات بدون معيل وبدون نفقة فأدى ذلك إلى انحدار كبير في عدد السكان، كما تم مصادرة منتجاتهم الزراعية وحيواناتهم وعرباتهم من أجل دعم الجهد الحربي[38]، فأخفى الأهالي سلعهم كما قطعت عن البلاد الواردات الخارجية فتصاعدت الأسعار ودخل السكان في أزمة كبيرة[39]، وقد اختبأ عدد من الرجال وهربوا إلى منطق البدو وقام آخرون بقطع أصابع يدهم وأعموا عيناً واحدة حتى يتم إعفاؤهم من الخدمة الإجبارية[40]، ولم يكن التهرب من الجندية بسبب جبنهم أو ضعفهم ولكن لما يعني لهم ولأسرهم من عذاب كبير حيث كان يعود عدد قليل منهم ويموت الكثيرون إما في ساحات القتال أو بسبب البرد وقلة العناية[41]، وكان البعض يفقدون ولا يعلم أحد مكاناً لهم[42].

وضعت الحكومة العثمانية يدها على المحاصيل الزراعية والمؤن كما بلغت الأسعار حداً فاحشاً من الغلاء، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى لم يكن الفحم الحجري متوفراً من أجل تشغيل القطارات فتم الاستعانة بالأشجار المثمرة وخصوصاً الزيتون من أجل تشغيل القطارات مما أدى إلى تدمير نسبة كبيرة من محصول الزيت[43]، وقام الجيش العثماني بإجبار الأهالي على

[31] سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 388، 1897م، 63.

[32] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 302.

[33] سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 369، 1871م، 8.

[34] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 302.

[35] النمر، إحسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، نابلس، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، ط2، 1975م، 2، 8-9.

[36] البرغوثي، عمر، تاريخ فلسطين، بورسعيد، المكتبة الثقافية الدينية، ط1، 2001م، 245.

[37] النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مرجع سابق، 3، 133.

[38] اوين، روجر، تاريخ فلسطين الاقتصادي 1800- 1918م، عمان، ط1، 1981م.553.

[39] البرغوثي، تاريخ فلسطين، مرجع سابق، 245.

[40] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 303.

[41] رافق، عبد الكريم، فلسطين والعثمانيين، مرجع سابق، 925.

[42] سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 383، 1893م، 14.

[43] النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مرجع سابق، 3، 138.

إصلاح الطرق العسكرية – طرق العربات-وكانوا يجبرون الأهالي على نقل المؤن للجيش إلى خطوط القتال بسبب عدم تمكن القطارات من الوصول[44].

الكوارث الطبيعية

ساهمت الكوارث الطبيعية والأمراض في تراجع أعداد السكان خصوصاً خلال الحرب العالمية الأولى، فقد زحف الجراد إلى بيت المقدس في أواسط الحرب بشكل كثيف مما أدى إلى تدمير كامل للزرع وللشجر ولم تستطع الحكومة ولا الأهالي القضاء عليه.

الأمراض

كانت الأمراض منتشرة خلال فترة الدراسة حيث كانت الرعاية الصحية محدودة وأدى هذا الأمر إلى وفاة الكثير من السكان ففي عام 1865م انتشر وباء الكوليرا في عموم فلسطين حيث هرب سكان المدن من مدنهم ولجؤوا إلى القرى وأدركهم الوباء هناك وتفشى الوباء طول فترة الشتاء وأدى انتشارها إلى وفاة 2000شخص في مدينة يافا و1760 في مدينة نابلس و432 في مدينة غزة و100 في مدينة الرملة و800 شخص في بيت المقدس[45]،ولقد ترك نصف سكان المدينة مدينتهم بسبب الوباء الذي بقي حتى نهاية العام[46] ولقد منعت المتصرفية دخول السمك إلى المدينة مدة ثلاثة شهور خوفا من تفشي الوباء وخروجه عن السيطرة[47]، وفي عامي 1853م [48]و 1878م حدث طاعون في فلسطين وأدى إلى وفاة الكثير من السكان حيث فاق عدد المتوفين ما أحدثه وباء الكوليرا في عام 1865م[49].

الجفاف

تعد المدينة قليلة المياه حيث ساهم هذا الأمر في عدم نموها وعدم ازدياد عدد سكانها حيث تعتمد في شرب سكانها وفي رأي محصولاتهم على مياه الأمطار التي تجمع في آبار خلال فصل الشتاء[50].

ساهم الجفاف في وفاة عدد من السكان، ففي عام 1855م نزلت كمية قليلة من المطر على المدينة فاجدب الزرع وارتفعت أسعار الحبوب ولم يتمكن المزارعون من زراعة أرضهم لأن المطر لم ينزل وأدى هذا الأمر إلى انتشار المجاعة فقامت الحكومة العثمانية ببيع مخزونها من القمح والحبوب من أجل التخفيف من حدة الجفاف[51].

البرد والثلج

أدى البرد الشديد وهطول الثلج في بعض السنوات إلى الإضرار بالناس ووفاة العديد منهم حيث لم تكن بيوتهم مهيأة للتعامل مع مثل هذه الأجواء، وفي أحيان أخرى أدى المطر الغزير والرياح الشديدة إلى تدهور الوضع بالنسبة إلى السكان وكان يرافق هذا البرد والمطر مجاعة وندرة في توفر المواد الغذائية حيث توفي 800 طفل في عام 1854م بسبب البرد وسوء التغذية[52].

---

[44] النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مرجع سابق، 3، 138.

[45] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 43-44.

[46] رافق، فلسطين في عهد العثمانيين، مرجع سابق 909.

[47] سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 397، 1903م، 57.

[48] العارف، عارف باشا، المفصل في المفصل في تاريخ القدس، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1994م.، ص 295.

[49] شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، مرجع سابق، 55.

[50] مجلة الجامعة، مرجع سابق، 161.

[51]العارف، المفصل في تاريخ القدس، مرجع سابق، 295.

[52] العارف، تاريخ القدس، مرجع سابق، 295.

الجراد

يعد الجراد من الآفات الخطيرة التي كانت منتشرة خلال فترة الدراسة حيث كان يهاجم المحاصيل الزراعية ولا يبقي منها شيئاً، ظهر الجراد في سنوات عديدة فغزا فلسطين في أعوام 1865و 1882 و 1899 و 1904 و وعام 1915 حيث كان كثيف العدد شديد الوطأة على السكان حتى سمي هذا العام بعام الجراد، حيث حط في جنوب المدينة وشكل سحباً كانت تمنع الشمس عن الظهور، أكل الجراد الأوراق والنباتات وبعد الانتهاء منها انتقل إلى قشور الشجر الطري وأتلف المحاصيل الصيفية والخضروات والتين والعنب[53]، حاول السكان مقاومته والقضاء عليه إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك بسبب كثافة حجمه، وحاولت الحكومة أن تقضي عليه فعينت جنودا ومأمورين لمحاربته إلا أنها فشلت في ذلك[54]، وبقي الجراد حتى نهاية فصل الصيف، وظهر في العام القادم ولكن بصورة أخف وتمكن الأهالي بمساعدة الحكومة من القضاء عليه.

المصادروالمراجع

أرمسترونج، كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث القاهرة، سطور، ط1، 1998م.

اوين، روجر، تاريخ فلسطين الاقتصادي 1800- 1918م، عمان، ط1، 1981م.

البرغوثي، عمر، تاريخ فلسطين، بورسعيد، المكتبة الثقافية الدينية، ط1، 2001م.

الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، كفر قرع، دار الهدى، ط2، 1991م.

الدستور العثماني، بيروت، المطبعة الادبية، 1883م.

رافق، عبد الكريم، فلسطين والعثمانيين، دمشق، مطبعة المهتدين، ط1984،1م، 925.

سالنامة ولاية سورية، 1871م، اسطنبول، دار سعادات، 1871م.

سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 369، 1871م.

سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 383، 1893م.

سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 388، 1897م.

سجلات المحكمة الشرعية، القدس، 397، 1903م.

شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856- 1882م، عمان، الجامعة الأردنية، ط2، 1993م.

صالحية، محمد عيسى، مدينة القدس السكان الأرض 1858- 1948م، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 2009م.

صباغ، كارول، فلسطين تاريخ شخصي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2015م.

العارف، عارف باشا، المفصل في المفصل في تاريخ القدس، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1994م.

القضاة، أحمد حامد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م، 79.

كتن، هنري، القدس، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1997م، 86.

كينجيرو، توكوتومي، الرحلة اليابانية إلى فلسطين ومصر 1906م، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014م.

مجلة الجامعة، الاسكندرية، 1903م.

النمر، إحسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، نابلس، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، ط2، 1975م.

[53] الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، كفر قرع، دار الهدى، ط2، 1991م، ص ص 10-157-161.

[54] البرغوثي، تاريخ فلسطين، مرجع سابق، 252.